

المماليك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية (٦٧٨-٩٢٢هـ/١٢٧٩-١٥١٦م)

م.د.فathi سالم حميدي
م.د.فائز علي بخيت
جامعة الموصل/كلية العلوم الإسلامية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/١٠/٢٦ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/١/٢٢

ملخص البحث :

شهد العصر المملوكي ظهور فئة سياسية عرفت بالمماليك الجلبان الذين كان لهم اثر كبير في عدم استقرار المملوكية من الناحيتين السياسية والاقتصادية .
ترجع بدايات ظهور المماليك الجلبان في الدولة المملوكية الى عصر السلطان العادل كتبغا ، ففي سنة (٦٩٥هـ/١٢٩٥م) حيث نزحت جماعة مغولية من بلاد فارس عرفت بالاوراتية إلى بلاد الشام ، فاخذ السلطان العادل بإكرامهم وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم فضلاً عن ذلك انه ساوهم بالمسلمين، وعلى الرغم من هذا التكريم بدأ الجلبان يثيرون الفتن والاضطرابات في الدولة المملوكية سواء كانت الأولى أم الثانية ، حيث شهد عهد كل سلطان من السلاطين المماليك مشاكل جمة ، كان وراءها الجلبان .
إن ابرز ما اتصف به المماليك حبهم للقتل والسلب والنهب ، فضلاً عن اعتدائهم على أعراض الناس دون أن يتصدى لهم سلطان أو أمير خشية منهم إن ينقلبوا ضده ، علماً أنهم لم يلتزموا بالدين الإسلامي التزاماً حقيقياً بل أن بعضهم لم يدخل بالإسلام أساساً ، وعلى الرغم من ذلك استمر بعض السلاطين بجلبهم والاعتماد عليهم في الدولة ، مما شكل انعكاساً سلبياً على العصر المملوكي ، فادى فيما بعد إلى انهيار دولة المماليك وقيام الدولة العثمانية على يد السلطان سليم الاول سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م .

Julban Mamlokies and their role in the internal situations of the Mamlokies state (678-922A.H./1279-1516A.C.)

Dr.Fathi Salim Humeedi

Dr.Fais Ali Bakeet

College of Islamic sciences |Mosul university

Abstract:

Mamlukian are witnessed the appearance of a political group named as Julban Mamlokies . They had a significant impact on the unstability of the Mamlokies state politically and Economically .

The appearance of Julbans started at the Mamlokian are exactly at the age of Sultan Al-Adil Catabaga in (695A.H./ 1295A.C.) . A Mongolian tribe moved from Parisia called as Oirat to the Sham (Damascus) . Sultan Al – Adil treated them kindly and supported them .

In addition to that, he considered them as Moslems . In spite of that , Julban started to make troubles in the Mamlokian states . Every age of sultans witnessed great problems caused by Julbans .

The famous features of Mamlokies was their inclination to murder , and stealing and the aggression on others and their families . Neither Sultan nor prince could stop them , least the may move against him . They were not obey Islamic regulation , and some of them did not muslems .Sultans continued to bring them and depended on them , which resulted in a negative impact on Mamloki are , and led finally to the collapse of Mamlokian state and initiation of Ottomans state at (922A.H./1517A.C.)

أصل المماليك

المماليك مفردھا مملوك وتعني العبد المولى ، وهم جماعة عسكرية ترجع أصولهم الى الاتراك او المغول او الجراكسة ^(١) وغيرهم من الاجناس الاخرى ^(٢) ، وكانوا يجلبون من البلاد الروسية والقفقاسية ^(٣) ، او يقدمون في بعض الاحيان كهداية وهبات او بدلاً عن ضريبة او جزية يدفعها حكام الولايات او القادة العسكريون ^(٤) ، وفُضِّل شراء الرقيق الابيض على الرقيق الاسود في اواخر العصر العباسي ^(٥) .

بعد ضعف الدولة العباسية وانقسامها الى دويلات عديدة سعى بعضها الى الاكثار من شراء المماليك وتجنيدهم ضمن جيشها لتقويته وضمان حماية حدودها من الاخطار الخارجية ، كما فعلت الدولة الايوبية في مصر وبلاد الشام ، لاسيما في عهد اخر ملوكها الصالح نجم الدين أيوب ^(٦) ، الذي لم يكتف بشراء المماليك الاتراك بل اسس حوله جماعة من المماليك البحرية في مصر ^(٧) حتى ضاقت القاهرة بهم ، وبدأوا بإيذاء الناس ونهب البضائع من الاسواق ، فقرر الملك الصالح نجم الدين عزلهم في اماكن خاصة وبنى لهم قلعة على جزيرة في وسط النيل لاسكانهم فيها واطلق عليهم اسم المماليك البحرية ، وخصص لهم الرواتب ^(٨) ، ونتيجة

للضعف الذي احاط بالدولة الايوبية بسبب الاخطار الخارجية من ناحية ، كالهجمات الصليبية على مصر والغزو المغولي لبلاد الشام ، وسوء الاوضاع الداخلية من ناحية اخرى ، ظهر المماليك كقوة طارئة للدفاع عن اراضي المسلمين ومقدساتهم ، فنجحوا في اقامة دولتهم على انقاض الدولة الايوبية في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ، بعد مرحلة انتقالية بدأت من عهد تورانشاه سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ولاسيما انهم ادوا دوراً كبيراً في ردع الصليبيين والتصدي للمغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م^(٩) .

بدايات ظهور المماليك الجلبان

اخذ السلاطين المماليك منذ بداية دولتهم يكثر من شراء المماليك الاجلاب الصغار السن ، ويشرفون على تربيتهم تربية عسكرية اسلامية ، ويجعلونهم ضمن ما يسمى بالمماليك السلطانية^(١٠) ، وبعد استقرار الدولة المملوكية اخذوا يكثر من شراء المماليك الجلبان الكبار السن وضمهم الى المماليك السلطانية مما شكّل لهم الكثير من المتاعب فيما بعد^(١١) وهذا ما سنتناوله بالتفصيل ضمن صفحات البحث الالية :

ينقسم المماليك السلطانية إلى ثلاث فرق حسب قربها من السلطان الاولى الخاصة التي ينتقي السلطان افرادها ، ويشكل منهم حرساً ملازماً له دائماً في مجالسه وخلوته ، ويكونوا على اهبة الاستعداد للدفاع عن السلطان ، والفرقة الثانية: القرانيس وهم مماليك السلاطين القدامى الذين توفوا او قتلوا وتعد هذه الفرقة من اشد فرق المماليك السلطانية خطورة وقوة ، لانهم كانوا يمثلون القوة الحقيقية للسلطان الجديد عند توليه المنصب ، اما الفرقة الثالثة فتعرف بالسيفية وهي تضم ممالك الامراء الذين توفوا او قتلوا او خلعوا من الامارة سواء بسبب تأمرهم او لعدم كفاءتهم ، اما المماليك الاجلاب فهم رقيق يقوم السلاطين المماليك بشراؤهم وهم صغار السن ويربونهم تربية اسلامية ويخضعون لنظام عسكري صارم ودقيق يتعلمون من خلاله اساليب الفروسية^(١٢) ، فيكون ولاؤهم للسلطان فقط بعد عتقهم وهم على العكس من فرقة المماليك الجلبان التي ضعف ولاؤها للسلطان^(١٣) .

يتكون المماليك الجلبان من اجناس مختلفة من الوافدين او المستأمنة ، وهم من الرقيق البالغين الذين دخلوا إلى اراضي الدولة المملوكية اما سراً ، فيضطر السلطان للموافقة على دخولهم بعد ذلك ، او دخلوا بشكل رسمي عن طريق استدعاء السلطان لهم ، وفي كلتا الحالتين فهم يدخلون ضمن المماليك السلطانية^(١٤) ، ازداد عددهم بشكل كبير بعد تثبيت اركان الدولة المملوكية ، كما انهم لم ينالوا تدريباً محكماً في الفروسية باستثناء فرقة الاويراتية ، لذا فقد كانوا اقل خبرة من المماليك الاجلاب الذين نشأوا كتابية^(١٥) في القلعة^(١٦) .

بعد البحث والتحصيل في الروايات التاريخية لوحظ ان بعض المؤرخين المحدثين^(١٧) يخلط بين المماليك الجلبان والاجلاب ولا يميز بين اللفظين، وهذا ما قد يوقع القارئ في لبس، لذا فيجب الانتباه لهذه المسألة ، ووفق ما تم ايضاحه في الفقرات السابقة .

المماليك الجلبان في العصر المملوكي الاول

ترجع بدايات وجود المماليك الجلبان في مصر إلى العصر المملوكي الاول الى عهد السلطان العادل كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ / ١٢٩٤-١٢٩٦م)^(١٨) ، ففي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م نزحت جماعة مغولية عرفت بالاويراتية^(١٩) إلى بلاد الشام ، اثر تولي غازان خانية مغول بلاد فارس في سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م ، مما شكل تهديداً لها ، فاستقدم السلطان كبار امراء هذه الفرقة ، وجعل الأمير طرغاي على امرة طبلخانة^(٢٠) ، وقرب من تبقى منهم وجعلهم من اجناد الحلقة^(٢١) واقطعهم الاقطاعات وخصص لهم الرواتب^(٢٢) .

اسرف السلطان العادل كتبغا في اكرام افراد الاويراتية ، وقدم لهم الدعم المادي والمعنوي ، بل ساواهم بالمسلمين ، على الرغم من ديانتهم المغولية الوثنية المخالفة لديانة الدولة الرسمية، فضلا عن سوء اخلاقهم وتعاملهم مع الناس ، مما ادى إلى حنق العامة عليهم، لاسيما وانهم اخذوا يتمادون في ابتزاز الناس مستغلين سوء الاوضاع المعاشية والاقتصادية التي ادت إلى انتشار ازيمات الغلاء والامراض في تلك الحقبة^(٢٣) ، وعلى الرغم مما تقدم لم يتخذ السلطان أي اجراء للحد من تصرفاتهم بل سعى الى الاكثار منهم واسرف في منحهم الاموال وقوى مراكزهم وتعداه إلى مصاهرتهم ، لكي يأمن جانبهم ويكسب ولائهم^(٢٤) ، كما اشار ابن ابيك الدواداري الى ان السلطان كتبغا كان اويراتي الاصل لذا فقد اسرف في اكرامهم وتقريبهم منه^(٢٥).

وفي الحقيقة ان السياسة التي اتبعها السلطان العادل كتبغا تجاه المماليك الجلبان الاويراتية ، لم يكن بدافع تقوية الدولة المملوكية او الاستفادة منهم في خدمة الاسلام والمسلمين في بلاده بقدر ما هي خدمة لمصالحه الشخصية ، اذ هدف إلى تقوية سلطنته ودعم مركزه امام منافسيه من الامراء المماليك الآخرين ممن لهم عصبية قوية^(٢٦) ، لاسيما وان المماليك من ابناء جنسه كانوا قليلين في الدولة المملوكية مقارنة باجناس المماليك الاخرى .

على ان السياسة التي اتبعها العادل كتبغا تجاه الاويراتية انقلبت ضده بعد ان كانت لمصلحته ، إذ زادت من حقد الأمراء المماليك عليه وعلى مماليكه الذين استقدمهم وقربهم منه على حساب الآخرين ، فضلا عن كره العامة للعنصر المغولي ، مما كان سبباً في انتهاء سلطنته على يد مجموعة من الأمراء الثائرين الذين دبروا مؤامرة لقتله ، وهو في طريق عودته من بلاد الشام في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م ، بالقرب من طبرية^(٢٧) ، الا انه استطاع الفرار من

قبضتهم متجهاً إلى دمشق ، فخلع اثر ذلك ونصب بدلاً عنه السلطان لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٨م) على عرش السلطنة وتأييد ومبايعة الامراء الثائرين^(٢٨) .

ومن الطبيعي ، ان يسعى السلطان الجديد إلى كسب ود وتأيد الامراء المماليك الكبار لاسيما الثائرين والمعارضين للسلطان السابق ، وكارضاء لهم من ناحية وادراك السلطان لخطر فرقة المماليك الجلبان من الاويراتية من ناحية اخرى ، فقد قام السلطان لاجين بضرب الاويراتية ، فقتل وسجن ومنح قسماً منهم للامراء الكبار لاستخدامهم كخدم في المنازل^(٢٩) .

وعلى الرغم من جميع الاجراءات الاحترازية التي قام بها السلطان لاجين ، بقي التنافس بين الامراء المماليك ، الامر الذي اودى بحياته سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م وتولية الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م) في سلطنته الثانية ، الا ان الصراع بين فرق المماليك لم تنته ، وبقيت العناصر المملوكية ومن بينهم الجلبان الاويراتية تتحين الفرص للانقضاض على السلطان لاسترجاع مكانتهم التي اخذت بالتضاؤل بعد اعتماد الناصر على العناصر البرجية من العنصر التركي ، لذا فقد سعى هؤلاء للقضاء على البرجية الذين بدأ نفوذهم بالتزايد ، متحينين الفرصة المناسبة وهدف الاويراتية من هذه المؤامرة القاء القبض على العناصر البرجية واعادة السلطان المخلوع العادل كتبغا إلى دفة الحكم^(٣٠) فنصب الاويراتية كميناً لهم لمباغطة قوات السلطان قبل اللقاء مع جيوش المغول في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م ، مما زاد من كره المماليك البرجية لهم ، ولم ينسوا ما قام به الجلبان الاويراتية ، فalcوا القبض عليهم وشتتهم في السنة ذاتها^(٣١) .

اما في عصر ابناء الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١-٧٦٢هـ/ ١٣٤٠-١٣٦٠م) ، فقد تغيرت الاوضاع الداخلية ، اذ امتازت هذه الحقبة بتولي سلاطين ضعاف غير قادرين على ادارة الدولة بسبب صغر سنهم اولاً ، وعدم امتلاكهم الخبرة الكافية في الامور السياسية ثانياً ، لاسيما وان الناصر محمد بن قلاوون حاول تثبيت مبدأ وراثة العرش قبيل وفاته سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ، فاولى بالحكم من بعده لولد المنصور (٧٤١-٧٤٢هـ/ ١٣٤٠-١٣٤١م) ، الا ان الاخير لم يملك في السلطنة اكثر من شهرين نفي بعدها إلى قوص^(٣٢) ، ثم قتل اثر ذلك^(٣٣) ، فخلفه اخوه السلطان علاء الدين كجك (٧٤٢-٧٤٢هـ/ ١٣٤١-١٣٤١م) ، الذي لم يبلغ سن الخامسة انذاك ، فخلع لاعتراض نواب الشام على توليته وحل محله اكبر اولاد الناصر محمد ويدعى احمد ولقب بالناصر (٧٤٢-٧٤٧هـ/ ١٣٤١-١٣٤٢م) ، غير انه فر من القاهرة إلى الكرك بعد ان استولى على اموال بيت المال ، فلم يجد أمراء المماليك الجلبان بدأ من تنصيب اخيه الصالح على عرش السلطنة (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م) فامر بمحاربة اخوه المخلوع والقاء القبض عليه واعادة الاموال^(٣٤) .

لم يكن عهد الصالح اسماعيل اطول او افضل عهود اشقائه ، فتولى الحكم بعد وفاته سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م اخيه السلطان الكامل شعبان (٧٤٦-٧٤٧هـ/١٣٤٥-١٣٤٦م) ، فعمت الفوضى الداخلية ، وانتشرت ظاهرة القتل والسلب والنهب إلى درجة ان السلطان نفسه امر بقتل اخويه ، مما ادى إلى ثورة امراء المماليك الجلبان عليه ، ولم يكن ذلك غضباً لاخويه ، وانما لما فيه من خدمة لمصالحهم الشخصية ، ونجحوا في خلعه واطلاق سراحهم ونصبوا احدهم في السلطنة ولقبوه بالمظفر حاجي (٧٤٧-٧٤٨هـ/ ١٣٤٦-١٣٤٧م) الا انه لم يلبث ان قتل (٣٥) . ان الظروف التي مرت بها دولة المماليك الاولى ادت دوراً فعالاً في انتقال السلطنة من ابناء الناصر محمد بن قلاوون إلى احفاده، لتصبح الكلمة الاولى والاخيرة للامراء الكبار، الذين نصبوا الاشرف شعبان (٧٦٤- ٧٨١هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٨م) على عرش السلطنة ، وفي ظل هذا الوضع اصبحت الرئاسة الحقيقية لاتبك العسكر (٣٦) الامير يلغا الخاصكي (٣٧) ، ولم يكن للاشرف من السلطنة سوى اسمها فقط ، ولا سيما وان يلغا ارتقى في المناصب واصبح عدد كبير من ممالিকে الجلبان نواب البلاد ومقدمي الالوف ، واستكثر من الجلبان الذين بلغ عددهم ثلاثة الاف مملوك فبالغ في الاحسان اليهم واکرامهم حتى صاروا يلبسون الطرز الذهبية العريضة ، التي اذا ما وقعت الشمس عليها تكاد من شدة اللمعان ان تخطف البصر (٣٨) .

وفي بداية عصر احفاد الناصر محمد بن قلاوون بدأ عصر جديد كثرت فيه ثورات المماليك الجلبان بسبب استضعافهم للسلطين الذين تولى معظمهم الحكم دون ان يبلغ سن الرشد ، مما جعلهم العوبة في ايدي الجلبان (٣٩) ، فكثيراً ما عصى هؤلاء اوامر السلطين وخالفوهم ونفذوا ما كانوا يصبون اليه من اجل تحقيق مكاسب مادية او تثبيت مراكزهم في مفاصل الحكم على الرغم من عدم موافقة السلطان مستغلين ضعفهم أوغيابهم خارج مركز الدولة ، كما حدث في اعتدائهم على خيمة السلطان الاشرف شعبان الذي قُتل في سنة ١٣٧٨م /هـ ، وهو في طريق عودته من الحج إلى القاهرة ، فنهبوا الاموال السلطانية الموجودة في موكبه ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اعتدوا على نساء السلطان المقتول (٤٠) .

بعد مقتل السلطان الاشرف شعبان اعتلى عرش السلطنة ولده علي (٧٨٠-٧٨٤هـ/ ١٣٧٨-١٣٨٢م) وما ان تولى مقاليد الحكم حتى امر الامير طشتمر مقدم العسكر ان يقاتل المماليك الجلبان الذين كانوا وراء مقتل والده ، والقضاء على تمردهم ، الا ان الجلبان تمكنوا من الحاق الهزيمة ببرجال الامير طشتمر الذي وقع شخصياً في أسرهم ، واستمر تمردهم وكثر اتباعه ، مما اضطر السلطان إلى مفاوضتهم ، ووافق على تنفيذ مطلبهم بسجن الامير طشتمر في القلعة وتتصيب مملوكين من الجلبان احدهما على رأس نوبة النوبة (٤١) ، والثاني اميراً للسلاح (٤٢) ، وترفع احد المماليك الجلبان وهو الامير طشتمر اللفاف من امرة عشرة إلى امرة الف

وجعله اتابكاً للعسكر^(٤٣) ، واستمرت هذه الأوضاع تتجه نحو الاسوء وكانت سبباً في انهيار الدولة المملوكية الاولى وقيام دولة المماليك الثانية.

المماليك الجلبان في العصر المملوكي الثاني

عندما قامت دولة المماليك الثانية او ما تسمى دولة المماليك الجراكسة في سنة ١٣٨٢هـ/٧٨٤م على يد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م) ازداد عدد المماليك الجلبان عما كانوا عليه في عصر الدولة المملوكية الاولى ، فكانت مهمة جلب عائلة السلطان برقوق وابناء عمومته من اولوياته التي لم يتخل عنها ، اذ بذل لتجار الرقيق اموالاً كثيرة لاحضار والده واقاربه من بلاد الجركس إلى مصر ، وجعل تاجره الخاص عثمان بن مسافر على راس هذه المهمة وخصه بالكثير من العطايا ، فتمكن من جمعهم وأحضر عدداً كبيراً من اقارب السلطان إلى القاهرة ، فخرج السلطان برقوق والامراء لاستقبالهم واحتفل بقدمهم في شهر ذي الحجة سنة ٧٨٢هـ/١٣٧٩م فكريهم منه وضمهم إلى الحاشية السلطانية ، ومنح والده امرة الف واجلسه إلى جانبه في صدر المجلس ، فضلاً عن توليته لقبية الامراء من ابناء عمومته في مناصب مهمة^(٤٤) ، كما استقدم السلطان برقوق أعداداً كبيرة من الجلبان الجراكسة من ابناء جنسه^(٤٥) ، ومن اشهر اعلام الجلبان الجراكسة الذين استقدمهم السلطان برقوق في سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ، وكان لهم الدور الكبير في الحياة السياسية من خلال توليهم منصب السلطنة السلطان ططر ، والسلطان الاشرف برسباي الدقماقي والسلطان الظاهر جقمق العلاني^(٤٦) .

وعلى ما يبدو ان تركيز السلطان برقوق على جلب اقاربه من بلادهم الاصلية بشكل خاص ، وابناء جنسه من العنصر الجركسي بشكل عام ، لم يكن بدافع جمعهم او تحسين احوالهم المعاشية التي يعانون منها في بلادهم ، وانما من اجل تقوية عصبية في الدولة الجديدة التي صبغها بالطابع الجركسي ، سائراً على نفس السياسة التي انتهجها كتبغا من قبل ، لاسيما وانها قامت على انقاض دولة ذات اصول تركية من ناحية ، فضلاً عن التفوق العددي للتراك مقارنة بالاجناس الاخرى ، وبقائهم متنفذين فيها من ناحية اخرى .

اما في بداية عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م) فقد انقسم الجلبان الظاهرية إلى قسمين الاول إلى جانبه والثاني ضده حيث كان يسعى إلى سلطنة الاتابك ايتمش البجاسي في سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م فتجمع امراؤهم وكان على راسهم بيبرس الدوادار^(٤٧) ابن عم السلطان والامير يشبك الشعباني الخازندار والامير شيخ المحمودي وغيرهم ، واشتبك معهم السلطان الناصر فرج في القتال ونجح في الحاق الهزيمة بالاتابك ايتمش البجاسي ومؤيديه من المماليك الجلبان ، فاضطر الاتابك ايتمش ومن بقي معه إلى الفرار نحو بلاد الشام

، بعد ان نهبوا ما في طريقهم من الخيول السلطانية ، فارسل السلطان خلفهم بعض الامراء فقبضوا عليهم واستردوا ما سلبوه^(٤٨).

كما تتكر الجلبان الظاهرية للسلطان الناصر فرج مرة اخرى في السنة ذاتها ، ونسوا فضل ابيه عليهم ، فخططوا للقيام بثورة لخلعه من السلطنة اثناء توجهه من القاهرة إلى دمشق لقتال الامير شيخ المحمودي سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م ، ويرجع سبب استياء الجلبان بشكل عام والجلبان الظاهرية بشكل خاص من السلطان الناصر فرج إلى تفضيله للماليك الاجلاب عليهم ، فانسحب قسم منهم وانضموا إلى صفوف قوات الامير شيخ المحمودي ، وعلى الرغم مما قدمه الناصر فرج للماليك الاجلاب ، الا انهم كالجلبان لم يرغبوا في انتصار السلطان خشية من تفرغه لطرف ما والقضاء عليه اذا ما حقق النصر على الطرف الاخر^(٤٩) ، لاسيما ان الاجلاب قاموا بنهب وسلب اسواق دمشق وفتكوا بالاهالي ، مما شكل موجة غضب عارمة ضد السلطان من قبل اهالي دمشق^(٥٠) .

لم تتوقف ثورات الماليك الجلبان بل استمرت بشكل متتالي اذ انهم لم يرضوا عن أي سلطان يتولى الحكم ، فقد ثاروا في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) وامتنعوا عن قبض رواتبهم التي قلت عما كانت عليه في عهد السلطان برقوق ، فاشتروا ان تصرف على ما كانت عليه في تلك الحقبة ، وسعى السلطان إلى التفاوض معهم ، الا ان المفاوضات معهم لم تجد نفعاً ، لانهم وحدوا موقفهم واتفقوا على عدم التراجع عما طلبوه ، فخشي السلطان والامراء بل وحتى العامة من حدوث فتنة كبيرة ، وعندما تفاقم الامر اضطر السلطان المؤيد الى ان يوافق على طلبهم وصرف رواتبهم^(٥١) .

وعندما توفي السلطان شيخ في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م وتولى السلطنة ولده المظفر احمد (٨٢٤هـ/١٤٢١) استمر الحال على ما هو عليه من سوء تصرفات الجلبان ، فكانت سبباً مباشراً في خله بعد عدة اشهر من توليه الحكم ، ليعتلي عرش السلطنة بدلاً عنه الظاهر سيف الدين ابي الفتح ططر في شعبان من السنة ذاتها ، الا انه لم يكن اكثر حظاً من السلطان المظفر احمد اذ خلع بعد اربعة وتسعين يوماً من توليه ، فأجلس على كرسي العرش ولده الصالح محمد بن ططر لمدة اربعة واربعين يوماً^(٥٢) فال العرش إلى السلطان الاشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) ليقبض على امور الحكم بيد من حديد ، وبرغم ذلك بقي الماليك الجلبان في تغطرسهم مما زاد من استياء العامة ، ولم يقتصر الامر على العامة فقط بل اخذوا بالاعتداء على موظفي الدولة وامرائها ونهب منازلهم ، وزادت شكاوى الامراء منهم ، وحثوا السلطان الاشرف برسباي على ردهم ، الا انه عجز عن ذلك واجابهم ((قد عجزت عن اصلاحهم ثم كشف راسه ودعا عليهم بالفناء والموت غير مرة)) ، فاشار عليه الامير جارقطلو في سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م باستخدام القوة واعمال السيف فيهم واستبدلهم بماليك غيرهم^(٥٣) .

واشار المقرئزي^(٥٤) في احداث السنة ذاتها الى ان المماليك الجلبان تمكنوا من دخول بيت الامير زين الدين عبد القادر الاستادار ونهبوا ما فيه ، اذ كان غائباً عنه ، واذا العامة في طريقهم ، ثم مضوا في طريقهم إلى بيت ناظر الديوان ثم إلى بيت الوزير ، فادركهم زعيم المماليك ، فطلب منهم التخلي عن هذه الاعمال فاطاعوه ولم يدخلوا بيت الوزير ، واكد ان السبب في ذلك هو تأخر رواتبهم ، فلما اشتكوا إلى السلطان قال لهم ((امضوا إلى المباشرين)) أي الى اصحاب الخزنة .

نجح الامير جارقطلو في اقناع السلطان لولا معارضة بعض الامراء الآخرين ، الذين حذروا السلطان من مغبة مثل هذا الفعل ، ولكن معرفة الجلبان بما يدبره لهم الامير جارقطلو زاد من غضبهم عليه واخذوا يتحينون الفرصة للايقاع به ، فاجمعوا على السير إلى بيته فحاصروه فيه مع مماليكه ، فخشي الناس من اعمال السلب والنهب ، لانتشار اهل الفساد في طرقات القاهرة ، فاقبل الناس على شراء الخبز تحوطاً ، فارسل السلطان اليهم يطلب منهم الكف عن ذلك ، الا انهم لم يذعنوا لطلبه ، واصرروا على قتل الامير جارقطلو ، فارسل اليهم مرة اخرى ، ولم ينصاعوا فارسل السلطان إلى الامير جارقطلو يطلب منه اسماء رؤوس هذه الفتنة ومن بدأ بها ، فارسل اليه باسمائهم ، فقبض عليهم السلطان وضربهم وامر بسجنهم ، فضلاً عن ادراك الجلبان لعجزهم عن قتل الأمير جارقطلو لعدم اجتماع كلمتهم ولقرار اكثرهم ، ولعدم وجود سلاح في ايديهم فاضطر بقية الجلبان للرضوخ للصالح ، فاخمدت الفتنة^(٥٥) .

كما اصطدم الجلبان مع العبيد السودان في سنة ٨٣٤هـ/١٤٣١م واجتمع حول كل منهم عصبية ، فاصبحوا فريقين وقتل عدد من كل منهم ، ومن ثم توقف القتال بينهما لتدخل السلطان الذي امر الجلبان بعدم التعرض للعبيد فامرهم بان لا يحملوا عصا وسلاحاً وسيفاً ، وان لا يخرجوا بعد المغرب^(٥٦) .

كما ثار مماليك السلطان في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م وطالبوا بالقبض على المباشرين بسبب تأخر رواتبهم في ديوان المفرد او ما يسمى بالاستادارية^(٥٧) ، فنزلوا متجهين إلى بيت القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش ونهبوا داره ، ثم نهبوا بيت الوزير امين الدين ابراهيم بن الهييم ، كما هاجموا بيت الوزير كريم الدين لحقدهم عليه منذ فتنة الامير جارقطلو ، الا انه احس بالمؤامرة ، فاخلى داره من الاشياء الثمينة ، فلم يظفروا به ولا بشيء من داره ، فعادوا بعد ان افسدوا ونهبوا دور جيرانه ، مما سبب غضب السلطان ، فاخذ بالدعاء عليهم بالفناء والوباء عليهم ، وكانت النتيجة ان طلب كريم الدين الاعفاء من منصبه ، فوافق السلطان على طلبه وعين بديلاً عنه^(٥٨) .

مرض السلطان برسباي في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م فحضر إلى جانبه في فناء القلعة الامير خشقدم الشبكي مقدم المماليك السلطانية ومعه الجلبان والقرانيص من مماليك السلطان ،

فضلا عن الخليفة العباسي المعتضد بالله ابو الفتح داود (٨١٦-٨٤٤هـ/١٤١٣-١٤٣٠م) والقضاة والامير الكبير جقمق العلاني ، وبدأ السلطان كلامه عن ولاية العهد لولد يوسف ، وأمضى الخليفة العهد وشهد بذلك القضاة وجعل الامير جقمق اتابكاً له ، كما التفت السلطان إلى الامير خشقدم بكلمة اراد من خلالها اسماع المماليك الجلبان ، وهو يعتب عليهم بما كانوا يفعلونه ، الا انه عفى عنهم ، واوصاهم بطاعة ولده وعدم مناصبة العدا لاي من الامراء ، وان لا يختلفوا فيدخل الاجنبي بينهم فيهلكوا ، ثم امر بثلاثين ديناراً لكل واحد منهم ، ففرحوا بذلك ودعوا له بالعافية والسلامة ، سيما وانها صرفت لهم جميعاً في ذات الليلة وبلغ مجموعها مائة وعشرون الف دينار ^(٥٩) .

ان هذا الاجراء من قبل السلطان لم يكن الا كسباً لرضى المماليك الجلبان وتأييدهم لولده اذا ما تولى السلطنة من بعده كي لا يناصبوه العدا ، ولا يقوموا بتأييد اي مؤامرة يقوم بها أي من الامراء الاخرين لخلعه ، وهو الخبير بهذا الامور وما يجري لوريث السلطان بعد وفاته .

وقد قام المماليك الجلبان في سنة ٨٤٣هـ/١٤٢٩م بمهاجمة القاضي عز الدين عبدالباسط عند نزوله من القلعة ، فهرب منهم ودخل إليها مرة اخرى ، فنجى من قبضتهم ، فاخذ يطلب الاعفاء من الاستادارية ، الا ان الامير الكبير جقمق نجح في اقناعه بالبقاء في منصبه ^(٦٠) كما اغار الجلبان في سنة ٨٤٥هـ/١٤٣١م على دار الامير تتم بن عبدالرزاق المؤيدي امير المجلس ^(٦١) الذي شكاهم إلى السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) الذي امر بحبس عشرة من امرائهم في القلعة ، فتعرضوا في اليوم الثاني لموكب الاتابك اينال العلاني ومعه الامير تتم الذي أنبأ الجلبان على شكواه إلى السلطان وحاولوا قتله، الا ان الاتابك اينال تدارك الموقف فهدأهم ووعدهم باطلاق سراح الامراء المسجونين ، فتوقفوا عن فعلهم هذا ، الا انهم لم يلبثوا ان هاجموا الامراء الاخرين كالامير زين الدين يحيى الاستادار في سنة ٨٥٠هـ/١٤٣٦م واوسعوه ضرباً ، ولكنه نجا منهم باعجوبة ^(٦٢) ، فتوجهوا بعد ذلك إلى القلعة لانتظار الامير ابي الخير النحاس ^(٦٣) ، الا انه لم يخرج من القلعة ، فتوجهوا إلى داره واصطدموا مع ممالিকে ونهبوا ما فيها ، فضلا عن نهب الدور المجاورة ، واحرقوا ما تبقى منها ، واغلقت الاسواق ابوابها خشية من اعمال السلب والنهب ^(٦٤) .

وفي اليوم الثاني توجه الجلبان إلى القلعة مصممين على الفتك بالامير أبي الخير ، وعزل الأمير جوهر النوروزي مقدم المماليك وزين الدين عن منصب الاستادارية ، وعندما حل المساء ونزل بعض الاعيان من القلعة خلصة إلى دورهم احاط بهم الجلبان وامروهم بالعودة إلى السلطان وابلاغه بمطالبهم ، فعادوا إلى السلطان واخبروه بذلك ^(٦٥) ، وكان الامير تتم قد اعتصم بالقلعة وقرر ان لا يبرحها الا بعد ان يتم اطلاق سراح ممالিকে السجناء خشية من بطش الجلبان ، وتم فعلا اطلاق سراحهم ، كما تكلم مع السلطان في الرضا عن الجلبان ، الا ان السلطان

رفض ذلك واصر على ارسال عائلته إلى بلاد الشام والتتحي عن السلطنة ، فنهاه الامير تنم وحذره من عاقبة ذلك ، ووصل به الامر ان شق ثوبه من الغيظ والغضب عليهم ، ونصحه بعض الامراء بتطبيب خاطر الجلبان بعزل الامير جوهر واخراج النحاس من القاهرة إلى مكة ، فتوجه الامير تمرغا إلى الجلبان وابلغهم الخبر فرضوا بذلك وهدأت ثأرتهم ^(٦٦) ، وفي ذات اليوم وبعد الظهيرة توجه جماعة من الجلبان إلى الامير اسنبغا الطياري راس نوبة النوبة ، وطلبوا منه ان يذهب إلى السلطان ويكلمه في امر تنفيذ وعوده ، فعندما اخبره الامير اسنبغا بتنفيذ مطالب الجلبان غضب السلطان واصدر مرسوماً بابقاء الامير جوهر مقدم المماليك والنحاس في مناصبهم ، ودعا الامراء الآخرين ليستعدوا لقتال الجلبان ، ونصب عدة مدافع على القلعة للدفاع عنها ، بعد ان صمم على قتالهم ، وعندما ادرك الجلبان عزم السلطان على قتالهم ارسلوا اليه مع احد الخاصكية يطلبون منه ان يسمح لهم بالحضور بين يديه ، فوافق السلطان على طلبهم ، وعندما حضروا قبلوا الارض وطلبوا العفو عنهم فاعفاهم ، وامرهم بالتوجه إلى طباقهم ^(٦٧) ، ولم يتكلم منهم احد ^(٦٨) ، وبذلك يكون السلطان قد قضى على فتنتهم ، من خلال اتباع سياسة فرق تسد التي اتبعها معهم وشتت كلمتهم ، فضلا عن ادراكهم التام بعدم مقدرتهم على مواجهة السلطان وجنوده .

لم يتغير موقف الجلبان تجاه الامراء ولم يكفوا عن مهاجمة منازلهم ، ففي سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م وفي عهد السلطان الاشرف اينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م) هاجم الجلبان دار الامير ناصر الدين محمد بن ابي الفرج الاستادار ، ونهبوا جميع ما فيها دون ادنى سبب ، فاضطر الاستادار إلى طلب الاعفاء من منصبه ، فاعفاه السلطان اينال وعين بديلاً عنه ^(٦٩) ، كما بدأ المماليك الجلبان في عهد الاشرف اينال باشعال الحرائق في اسواق القاهرة ، من اجل القيام باعمال السلب والنهب في الاسواق ودور العامة ، واستمرت هذه الاعمال عدة اشهر تضرر خلالها الناس كثيراً في بيوتهم واموالهم ، وفي سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م واثناء مرض السلطان خشي الناس من تكرار ما كان يقوم به الجلبان في السنوات الماضية من اعمال تضرر بمصالحهم ، فطلبوا من السلطان ان ينهائهم عنها ، ولكن مرض السلطان كان سبباً في اهمال طلبهم ^(٧٠) ، في الحقيقة لم يهتم السلطان بطلبهم لولا مرضه ، سيما وانه كان مستاء من الجلبان ، لكن واقع الحال والمرض الذي الم به شغله في امور شخصية ذات اهمية من اجل ضمان انتقال منصب السلطنة إلى ولده احمد ، لذا فقد سعى مضطراً إلى استرضاء الجلبان وعدم اثارتهم ، ليكسب بذلك تأييدهم الكامل لولده من بعده .

بقي تمرد الجلبان وتصرفاتهم البغيضة طيلة عهد السلطان الاشرف اينال الذي اكثر من شرائهم ، اذ ثاروا اكثر من سبع مرات، هددت السلطان نفسه بالخلع ^(٧١) ، واعتدوا على الناس كثيراً ونهبوا اموالهم ، مستغلين طيبة السلطان وحسن خلقه ، مما أدى إلى اضطراب البلاد

سياسياً واقتصادياً وطرد الكثير من الممالك من اجناد الحلقة بسبب افلاس الخزينة ، فضلا عن سجن الخليفة في الاسكندرية ، وكان السلطان اينال غير قادر على ايقاف الامراء الذين نشروا الفوضى ونهبوا البلاد ، وسلبوا القصور وهاجموا كبار الامراء ، ودب الخوف في قلب السلطان من ممتلكاته الخاصة لانعدام الثقة فيهم ، فانزوى السلطان في قصره ، كما هجرت الاسواق لقلة التجارة ، واصبح الجلبان من القوة ما مكنهم من التحكم في عزل الموظفين وتغييرهم دون علم السلطان (٧٢) .

وعلى الرغم من شكوى الناس منهم استمرت اعتداءاتهم على العامة ولا سيما النساء ، ولم يكن السلطان قادراً على منعهم من الحاق الاذى بالنساء في ايام الاعياد والمناسبات ، فاضطر إلى ان يمنع القاهريات الجميلات من التمتع بالخروج في تلك المناسبات القليلة (٧٣) ، ومما زاد من غضبهم وتمرداتهم بشكل اكثر خطورة من ذي قبل ، قيام السلطان اينال بتنصيب ولده اتابكاً للعسكر بدلاً منه ، مخالفاً بذلك القواعد التقليدية للممالك ، لذا فقد جوبه بالرفض من قبل كبار الامراء ، فاضطر السلطان وتحت هذا الضغط إلى الغاء هذا الامر وعين الامير تنبك البردكي بدلاً من ولده ، وبذلك امتاز عصر السلطان اينال الذي فشل في ادارة الدولة لكثرة ما واجهه من مشاكل سياسية واقتصادية ، فعمد في نهاية حكمه إلى خلع نفسه وتنصيب ولده احمد بدلاً عنه في السلطنة سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م ، الا ان حكمه لم يدم اكثر من خمسة وخمسين يوماً ، تتحى بعدها عن السلطنة بسبب تمرد الممالك الجلبان الظاهرية عليه ، فضلا عن عدم طاعة ممالكه له عندما استدعاهم لمواجهة خطر الجلبان (٧٤)

ترجع اسباب عدم طاعة الجلبان للسلطان اينال إلى خشيتهم من القبض عليهم والايقاع بهم من ناحية ، وإلى رفضه المستمر لطلباتهم التي كانت تصب في مصالحهم الشخصية وعلى حساب السلطان اولا والعامة من الناس ثانياً من ناحية اخرى .

تقلد السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦١-١٤٦٧م) امور الحكم في سلطنة الممالك ، وكان اول خروج للجلبان عليه في سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦١م طالبين ملابس من الصوف معدة لاغراض السفر والصيد ، وأساءوا التصرف كثيراً اثناء هذا التمرد ، اذ قاموا بالكثير من اعمال السلب والنهب (٧٥) ، وعلى الرغم مما حدث في بداية عهده ، الا انه بسط الامن والسلام في جميع انحاء سلطنته ، وذلك بفضل مهارته في ايجاد نوع من التوازن بين القوى والفئات المتصارعة من خلال ضربها مع بعضها البعض مما اضعفها جميعاً ، ففرح الناس بسلطنته لظنهم بانه سيقطع دابر الممالك الجلبان (٧٦) ، الا ان الاوضاع تغيرت في النصف الثاني من عهده ، اذ ازدادت سطوة الجلبان ، واصبحت ايديهم مطلقة في احداث الفظائع والقسوة والفساد والاستيلاء على اموال الناس ، وبيعت المناصب الادارية ، وكان العدل منتهك بسبب الفساد المالي ، حيث اصبح المال اساس الادارة في نهاية عصر السلطان الظاهر خشقدم ، وكان هذا

أشد خطراً على كيان الدولة ، إذ أصبحت المناصب تباع وتشتري بالرشوة ، وهذا يعني اسناد المناصب إلى اناس ليسوا اهلاً لها ، بل الى من كان قادراً على دفع مبالغ أكثر ^(٧٧) ولم يكتفوا بذلك بل كثرت طلباتهم من السلطان ذاته ، وقاموا ببيع التمردات بسبب عدم تلبية ^(٧٨) ، واستمر هذا الحال حتى وفاته ، وكان لقلّة المماليك من ابناء جنسه في الدولة المملوكية اثر كبير في اضعاف حكمه في ايامه الاخيرة ، فلم يتمكن من ردع الفرق المملوكية الاخرى ، ولاسيما انه من اصل رومي ^(٧٩) .

في الحقيقة اختلف السلطان الظاهر خشقدم عن غيره من السلاطين المماليك الآخرين ، فهو حسب ما اشارت الروايات التاريخية لم يكن يكثر من شراء واستقدام المماليك من ابناء جنسه ، لكي يقوي مركزه كما فعل غيره ، فقد اعتمد على من كان موجوداً منهم سابقاً ، ومما يدل على ذلك قلة شيعته من الروم ، فضلاً عن سعيه المستمر للتخلص من بعض فرق الجلبان من الطوائف الاخرى من خلال ضرب بعضهم بعضاً .

لم يكن عهد السلطان الظاهر يلبي (٨٧٢-٨٧٢هـ / ١٢٦٧-١٢٦٧م) افضل من عهد سابقه ، إذ استمر تمرد الجلبان واساءاتهم للعامة ، مما شكل غضب وحقد العامة عليهم ^(٨٠) ، وعندما تولى السلطنة تمرغنا (٨٧٢-٨٧٢هـ / ١٢٦٧-١٢٦٧م) استمرت تهديدات الجلبان للعامة ، بشكل عام وللسلطان بشكل خاص فوصل الامر بهم إلى عزل السلطان بعد سبعة وخمسين يوماً ، وتولية الامير خير بك سلطاناً بدلاً عنه في ذات السنة ^(٨١) .

اما في سلطنة الاشرف قايتباي (٨٧٣-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦م) فقد ازداد جمع الضرائب والاموال للاتفاف على الحروب الخارجية ، فضلاً عن انتشار وباء الطاعون الذي قتل فيه الكثير من الناس ، وماتت فيه زوجه السلطان وابنته ^(٨٢) ، وترتب عليه قحط شديد وغلاء في الاسعار ، مما دمر الجانب الاقتصادي للدولة ، فزادت رواتب الجلبان من ثمانية الاف درهم في عهد السلطان برسباي الى ستة واربعين الف درهم في عهد قايتباي ^(٨٣) ،

وعلى الرغم من ذلك لم يراع الجلبان خطورة الموقف الذي تمر به البلاد ، فقاموا بتمرد في سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م لقتل الامير علي باي الخاصكي احد امراء الجلبان ^(٨٤) اثناء عودته من المهمة التي ارسله فيها السلطان قايتباي إلى بلاد الشام للقضاء على احدى التمردات التي نشبت في نيابة القدس ، ومما زاد الطين بلة ما شاع انذاك بان هذه المؤامرة حيكت باتفاق بين السلطان والامير يشبك العلاني نائب غزة ، وازدادت حدة هذا التمرد ولم تهدأ حتى قدم لهم السلطان اعتذاراً نفى فيه علاقته بهذه الحادثة وانه لم يامر بقتل الامير علي باي ^(٨٥) ، وفي العام التالي اراد المماليك قتل الامير يشبك الدودار ، فامر السلطان جيشه بالاستعداد لقتال الجلبان ، مما ولد حالة من الفزع والفوضى اغلقت الاسواق على اثرها ^(٨٦) .

تحرك المماليك الجلبان في سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م فثاروا فتنة كبيرة بالقلعة فغضب السلطان عليهم ، فضرب الخنجر والترس من يده على الارض ، فلما رأى الجلبان موقف السلطان وغضبه حاولوا تهدئة الموقف ، وذلك لعدم قدرتهم على الوقوف بوجهه، كما اثار الجلبان المشاكل في سنة ٨٩٦هـ/١٤٩٠م من اجل الحصول على نفقة من السلطان ^(٨٧).

استمرت الخلافات والنزاعات بين امراء طوائف المماليك المختلفة وعلى راسهم الامير قانصوة والبردي اللذين سعيا الى السيطرة على ادارة شؤون الدولة ، ونجح الامير قانصوة في انتزاع البيعة من السلطان ومنحها لولده محمد بن قايتباي (٩٠١-٩٠٤هـ/١٤٩٦-١٤٩٨م) ، الذي اشتهر بامور اللهو والترف وشرب الخمر واغتصاب الاموال من العامة ، ففقد احترام الناس وحبهم له ، ففكر في الهرب الا انه مُنِعَ من قبل المماليك الجلبان ، فانقض عليه طومان باي صاحب المالية فقتله في سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م ، وبويع بعده الامير قانصوة الاشرفي بالسلطنة (٩٠٤-٩٠٥هـ/١٤٩٨-١٥٠٠م) ، الا ان خيوط المؤامرة كانت تحاك من حوله من قبل الامير طومان باي لخلعه ، فاضطر السلطان إلى الهرب ^(٨٨) ، ولكي يخفي طومان باي مطامعه في العرش ، فقد رشح وباع جن بلاط بالسلطنة (٩٠٥-٩٠٦هـ/١٥٠٠-١٥٠١م) ولقب بالملك الاشرف ، الا ان المؤامرات والتنافس على منصب السلطنة ادت إلى خلعه ، وتنصيب طومان باي سلطاناً في سنة ٩٠٦هـ/١٥٠١م ، تحت اسم العادل طومان باي ولكن سياسته التي اعتمدها امتازت بالظلم على العكس من اسمه، اذ اعتمد القسوة تجاه فرق المماليك وامرائها والعامة مما زاد من كرههم له ، فلقي مصرعه بعد ثلاثة اشهر ، وبقيت البلاد تعمها الفوضى ^(٨٩) ، التي ازدادت في نهاية العصر المملوكي حتى عزف الامراء عن تولي منصب السلطنة ، الذي اصبح غالباً ما يؤدي بهم إلى القتل او السجن ، فعندما تولى السلطان الاشرف قانصوة الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) بويع بالسلطنة رغم عدم رغبته فيها خشية ان يتعرض للقتل او السجن ، وتحت ذريعة معالجة الاوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في البلاد ، اتخذ عدة اجراءات منها انه امر بجمع خراج عشرة اشهر مقدماً ، وفرض الضرائب الكمركية على التجار ، كما تلاعب بالعملة لتستفيد الدولة من الفارق على حساب الشعب الذي اخذت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم بسبب هذه الاجراءات ، وبدلاً من الانفاق لاصلاح البلاد اخذ الغوري بالانفاق ممالিকে الذين اكثر من اعدادهم عن طريق الشراء ، من اجل ارضائهم وابعادهم عن اجراء الاضطرابات والفوضى كما حدث في سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م ^(٩٠) ، مما ادى إلى تمرد بعض المماليك الاجلاب الذين نقموا عليه بسبب سياسته الداعمة للمماليك الجلبان .

والواقع ان عجز السلاطين والامراء عن منع المماليك الجلبان من الاعتداء على الاسواق والناس جعل المصريين يعتمدون على انفسهم في التصدي لاولئك المماليك ، وقد الحق الناس كثيراً من الضرر والاذى بالجلبان ، ومما يدل على ذلك اصدار امر سلطاني نوذي به في القاهرة

في سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م بعدم تعرض الناس لمماليك السلطان ، ومن يفعل ذلك يعاقب بقطع يده ، مما أدى الى ازدياد سوء الأوضاع السياسية الداخلية ، مما انعكس على الوضع الأمني ، وكان سببا في ترديه في العصر المموكي الثاني ^(٩١) وهذا ما كان له دور كبير في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م حيث تراخى المماليك الاجلاب، واتضح موقفهم في هذه المعركة امام العثمانيين ، عندما تراجعوا عن القتال بعد ان اصبح النصر وشيكاً لهم، وذلك بسبب الدعاية التي بثها الامير خاير بك بين صفوف الاجلاب، بان السلطان يقدم الاجلاب في القتال كي يبقى محافظاً على مماليكه الجلبان ويضمن سلامتهم ^(٩٢).

المماليك الجلبان واثرتهم في الحياة السياسية والاقتصادية المملوكية

كان لزيادة اعداد الجلبان الاثر السلبي الواضح على الحياة السياسية والاقتصادية في الدولة المملوكية بشكل عام وفي مصر بشكل خاص ، وكانت هناك عوامل ساعدت على ازدياد موجات الجلبان إلى مصر لاسيما في العصر المملوكي الثاني ، منها ما هو سياسي وتمثل بانهيار خانية مغول القبيلة الذهبية ^(٩٣) ومنها ما هو اقتصادي تمثل بانتشار الطاعون الذي اودى بحياة الكثير من سكانها ، مما اثر سلباً على الجانب الاقتصادي بسبب قلة اضمحلال التجارة معها، فضلا عن ظهور الخطر التيموري الذي داهمها ^(٩٤) ومزق قوتها العسكرية، لما مارسه من قتل وسلب ونهب بين السكان ، فكانت هذه العوامل سبباً في انتشار الفوضى على الصعيد الداخلي ، بسبب التنافس بين امرائها من اجل المكاسب الشخصية ^(٩٥).

بقي المماليك الجلبان الذين وفدوا إلى القاهرة على نفس العادات والتقاليد التي نشأوا وترعرعوا عليها في بلادهم الاصلية ، اذ انهم جلبوا كبار السن على العكس من المماليك الاجلاب ، لذا فقد كان احساسهم بالولاء اضعف مما هو عند الاجلاب الذين يربون في حجور اسيادهم ، فضلا عن قلة مهاراتهم العسكرية في القتال والقدرة على التحمل مقارنة بالعنصر التركي من جانب اخر ^(٩٦) ، كما قام السلاطين الجراكسة بتقريبهم منهم وضمهم إلى فرق المماليك السلطانية من اجل خدمة مصالحهم الشخصية ، لكي يثبتوا سلطنتهم ، ويقووا سيطرتهم ويديروا الدولة بيد من حديد ^(٩٧) ، مما اسهم في زرع بذور التفرقة العنصرية بين الجيش المملوكي ، مما اضعف روح الولاء والترابط بينهم من ناحية ، واشاع حالة من الاقتتال المستمر من ناحية اخرى ، فاسهم ذلك في ضعف اداء الجيش وقلة المهارة العسكرية بين صفوفه بسبب التناحر ، الذي دب بين الامراء المماليك ^(٩٨) .

ان ابرز ما يدل على ذلك عدم قدرة المماليك الجلبان على الانضباط سلوكياً ، فضلاً عن عدم تنفيذ اوامر الامراء المنتمين إلى قيادتهم ، على الرغم من تسليحهم المستمر من قبل السلاطين والامراء مقارنة بفرق المماليك الاخرى التي امتازت بالمهارة العسكرية والانصياع

للسلاطين والامراء ، فكان للسلوك السيء الذي اشتهر به الجلبان من فجور وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الدولة اثره السلبي على المجتمع المصري انذاك سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

تولى المماليك الجلبان مناصب عليا في الدولة المملوكية الثانية وبدعم من سلاطينها الذين قريوهم منهم لاسباب مباشرة وغير مباشرة معتقدين انها تصب في مصالحهم ، ولاسيما ان معظمهم قد اعتلوا عرش السلطنة عن طريق الانقلاب على السلطان القديم وقتله ، مما يؤدي إلى ضياع ممالكه الذين يتمتعون بخبرة عسكرية فيسعى إلى التخلص منهم من خلال ارسالهم إلى الحروب الخارجية ، والاكثر من المماليك الجلبان الجدد في الوقت ذاته (٩٩) .

ان ما اشتهر به الجلبان عن غيرهم من الفرق المملوكية، كحبهم للسلب والنهب واستغلال الآخرين لمصالحهم الشخصية ، فضلا عن سعيهم لاثارة الفتنة والاضطرابات ، واعتدائهم على الناس كثيراً لتأصل العادات القديمة في نفوسهم ، مما سبب حالة من الغضب والحقدهم عليهم ، اذ اعتدوا على الاعراض دون ان يتصدى لهم سلطان او امير وذلك خشية من انقلابهم عليه ، فضلا عن ان اسلامهم لم يكن اسلاماً تاماً من حيث الالتزام بالتعاليم الدينية ، ولهذا لم يشكل الدين رادعاً لهم عن مثل هذه الاعمال ، فضلا عن ان بعضهم لم يدن بالديانة الاسلامية اساساً كالاورانية(١٠٠).

لم تقتصر هذه الممارسات السيئة على العامة بل تعدته إلى ابناء الطبقة المثقفة من الفقهاء والعلماء من جورهم وظلمهم ، اذ الزمواهم في سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٤م بعدم ركوب الخيل يستثنى منهم الاعيان ومباشرو الدولة ، اما البقية المتبقية فقد ابتاعوا البغال وركبوا حتى تزايد بسبب ذلك سعر البغال إلى اضعاف ما كان عليه (١٠١) .

لم يقتصر الامر على عامة الشعب بل تعداه إلى الصراع فيما بين المماليك الجلبان انفسهم من خلال ممارسة عمليات التصفية فيما بينهم ، كما كان للسلاطين والامراء دور كبير في انتهاج الجلبان لمثل هذا السلوك ، لاسيما انهم اسرفوا كثيراً وعاشوا حياة ترف وبذخ بعيدة عن تعاليم الاسلام كالقتل والفجور وشرب الخمر وسلب الاموال بغير حق كما فعل السلطان محمد بن قايتباي وغيره (١٠٢) ، فكان امراً طبيعياً ان يتبع الجلبان نهجهم نفسه ، كما ان عدم ثبات مبدأ وراثة العرش في الدولة المملوكية ، كان له الدور الكبير في كثرة التمردات والانقلابات التي قام بها الجلبان ، والتي ادت إلى اضطرابات داخلية ، بسبب تولي سلاطين صغار السن بعد وفاة ابائهم ، فعلى الرغم من دعمهم من قبل الجلبان ، فان ذلك لم يكن بهدف تطبيق مبدأ الوراثة ، وانما من اجل استغلال هؤلاء السلاطين الصغار الذين لا يمتلكون حكمة سياسية او قدرة على ادارة الدولة وضبط امورها ، فيتمكنوا من تحقيق مكاسب مالية ، فضلاً عن الهيمنة على المناصب العليا في الدولة ، لذا فقد ازدادت هذه الصراعات بين كبار الامراء من اجل تولي منصب الاتابك ، ومن ثمَّ يصبح الاتابك هو المتصرف الحقيقي في امور الحكم ومن ثم خلع

السلطان او قتله وتشريد الامراء الجلبان المؤيدين له على يد الاتابك الذي يجد في نفسه انه الاحق في ملك السلطان الراحل او المخلوع ، وانه القادر على ادارة الدولة فلا مبرر ان يخضع لابنه من بعده ، فيتم القبض عليه وقتله او خلعه حسب ما يقتضيه الظرف السائد انذاك (١٠٣) ، فيعمل على زج فرقة جديدة من المماليك الجلبان لدعمه ، واستمر الحال على ذلك وكان سبباً في انهيار الدولة المملوكية ، وقيام الدولة العثمانية على يد السلطان سليم الاول في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م .

هوامش البحث

- (١) الجراكسة : من الشعوب الآرية الهندو أوربية التي تقطن في بلاد القوقاز حتى يومنا هذا وتسمى بلادهم ببلاد الجركس .ينظر:يوسف عزت ، تاريخ القوقاز ، تعريب : عبد الحميد غالب (استنبول: ١٩١٢م)، ص ٦٩ .
- (٢) محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب (بيروت : د/ت) : ٢ / ٤٩٣ ؛ محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، تشریف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق : مراد كامل (القاهرة : ١٩٦١ م) ، ص ٦٠-٦١ ؛ موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان (حيدر آباد : ١٩٦١ م) : ١ / ٩٢ .
- (٣) ابن منظور ، لسان العرب : ١ / ٤٩٣ ؛ لويس رحمانى ، مختصر تاريخ القرون الوسطى (الموصل : ١٨٧٧ م) ، ص ٢٢ .
- (٤) محمد مصطفى زيادة ، تاريخ الحضارة المصرية (القاهرة : د/ت) ، ص ٤٨١ .
- (٥) احمد عطية الله ، القاموس الإسلامى (القاهرة : ١٩٦٦ م) : ٢ / ٥٥٧ ؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم ، مصر في عصري المماليك والعثمانيين (القاهرة : ١٩٦٦ م) ، ص ١١٣ .
- (٦) مناهل فخر الدين فليح ، التعليم في ظل المماليك ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين (الموصل : ١٩٧٩ م) ع ١٠ / ص ٣٨٣ .
- (٧) احسان عباس ، تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (عمان : ١٩٩٨ م) ، ص ٣١ .
- (٨) عمر موسى باشا ، تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي ، (بيروت : ١٩٨٩ م) ، ص ١٦-١٧ .
- (٩) رشيد الدين فضل الله الهمداني ، جامع التواريخ ، ترجمة : فؤاد عبد المعطي الصياد (بيروت : ١٩٨٣ م) : ١ / ٣١٣ ؛ محمد بن شاکر الکتبی ، عیون التواریخ ، تحقیق : نبیلة عبد المنعم وفیصل السامر (بغداد : ١٩٩١ م) : ٢٠ / ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛
- D. Lang , Armenia Cradle Of Civilization (London : 1970) , p. 207 ; A.K.Sanjjian ,The Armenian Communities In Syria Under Ottoman Dominion (Cambridge: 1965),p.15;*
- (١٠) انطوان خليل ضومط ، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، ط ٢ (بيروت : ١٩٨٢ م) ، ص ٣٣-٣٤ .
- (١١) ضومط ، الدولة المملوكية ، ص ٣٣-٣٤ ؛ الباز العريني ، المماليك (بيروت: د/ت) ، ص ١١٧ .
- (١٢) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، " بعض مظاهر الحياة اليومية في مصر في عصر سلاطين المماليك " (بيروت : ١٩٩٥ م) : ٣ / ٢٨٩ عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٨ .
- (١٣) ضومط ، الدولة المملوكية ، ص ٣٤ .
- (١٤) العريني ، المماليك ، ص ١١٧ .
- (١٥) أي تدریسهم على الكتاب والسنة .
- (١٦) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٨ .
- (١٧) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، ط ١ (القاهرة : ١٩٦٢ م) ، ص ٢٥-٢٧ ؛ قاسم عبدة قاسم ، في تاريخ الايوبيين والمماليك (القاهرة : ٢٠٠٧ م) ، ص ٢٩٨ .

- (١٨) احمد بن علي المقرئزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية (بيروت: د/ت): ٤٣٥/٢ ؛ ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٢٩١ ؛ حكيم امين عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة : ١٩٦٦ م) ، ص ١٨ ، قاسم ، في تاريخ ، ص ٢٦٩ .
- (١٩) الاويراتية : سمو بالاويراتية نسبة الى لفظ اويرات وهو اسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الاعلى من نهر ينسى باواسط اسيا. بدر الدين محمود العيني ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد امين (مصر : ١٩٨٩م) : ٣٠٤/٣ .
- (٢٠) الطبلخانة : مرتبة حربية من مراتب ارباب السيوف في العصر المملوكي ، يتولى صاحبها منصب امير مائة ، ويعادل درجة مقدم الف ، وسمي بامير طبلخانة لاحقيته في دق الطبول على ابوابه كما يفعل السلاطين ويطلق عليه امير اربعين لوجود اربعين مملوكاً في خدمته ، وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين او ثمانين . ينظر : سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٢ (القاهرة : ١٩٦٧م) ، ص ٤١٤ .
- (٢١) اجناد الحلقة :وحدة من الجند وهي جزء من المماليك السلطانية لكن منزلتها بدأت تتدهور بعد سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م بسبب اعادة توزيع الاقطاعات من جديد ففقد جند الحلقة ربع حصصهم ، كما ان قسم منهم اخذ بالتنازل عن اقطاعاته مقابل تعويضات ورواتب . بنظر : عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٩ .
- (٢٢) المقرئزي ، الخطط : ٤٣٥-٤٣٦ ؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الارب في فنون الادب تحقيق : نجيب مصطفى (بيروت : ٢٠٠٤م) : ١٨٧-١٨٨ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي، ص ١١١ ؛ قاسم ، في تاريخ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .
- (٢٣) المقرئزي ، الخطط : ٢ / ٤٣٦ ، ٣ / ١٧٧ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص ١١٤ .
- (٢٤) المقرئزي ، الخطط : ٢ / ٤٣٦ .
- (٢٥) ابو بكر بن عبدالله ابن ايبيك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق : هانس روبرت رويمر (القاهرة : ١٩٦٠م) : ٣٦١/٨ .
- (٢٦) كان هناك تنافس على تولي السلطنة بين الامراء المماليك كالامير حسام الدين لاجين الذي تولى السلطنة بعد خلع كتبغا ، فضلاً عن سعي بعض الامراء إلى اعادة السلطان المخلوع الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة . ينظر : عماد الدين اسماعيل المعروف بابي الفدا ، المختصر في اخبار البشر (القاهرة : د/ت) : ٤ / ٣٤ ؛ ضومط ، الدولة المملوكية ، ٣٦ ؛ عبد السيد ، قيام دولة المماليك ، ص ١٩ .
- (٢٧) طبرية: مدينة مطلة على بحيرة طبرية وهي تعد من اعمال الاردن بينها وبين دمشق مسافة ثلاثة ايام. شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ط٢ (بيروت : ١٩٩٥م) : ١٧/٤-٢٠ .
- (٢٨) ابو الفدا ، المختصر : ٤ / ٣٤ ؛ النويري ، نهاية الارب : ٣١/١٩٥-١٩٧ ، عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك(بيروت : ١٩٧٠)، ص ٢٠٦ ؛ ضومط ، الدولة المملوكية ، ٣٦ ؛ عبد السيد ، قيام دولة المماليك ، ص ١٩ .
- (٢٩) المقرئزي ، الخطط : ٢ / ٤٣٦ ؛ ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ، ص ٢٩٣-٢٩٤ .
- (٣٠) عبد السيد ، قيام دولة المماليك ، ص ٢٠ .

- (٣١) المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زياد واخرون (القاهرة : ١٩٧٢م): ج١/ق١/ص١٠٠ ؛ النويري ، نهاية الارب : ٣١ / ١٣٢ ؛ زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (بيروت : ١٩٩٦م) : ٢٣٨/١ ، ٣١٩ .
- (٣٢) قوص : مدينة كبيرة واسعة تقع في صعيد مصر ، وتعد محطة تجارية للتجار القادمين من عدن وبينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٤١٣/٤ .
- (٣٣) جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر : د/ت) ١١/١٠ ؛ النويري ، نهاية الارب : ٢٤١/٣١ .
- (٣٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٧١/١٠ ؛ عاشور العصر المماليكي ، ص ١٢٧ .
- (٣٥) ضومط ، دولة المملوكية ، ص ٥٢ .
- (٣٦) اتابك العسكر : اصبح هو الاول بعد الغاء منصب نائب السلطنة ، وقد جرت العادة في الدولة المملوكية وخاصة الجركسية ، ان يخلف السلطان ، وهو قائد الجيش والمشرف على الممالك السلطانية ، ويدعى احياناً اتابك الجيش او الجيوش ويختصر لقبه إلى الاتابكي . ينظر: عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٤٣ .
- (٣٧) يلغا الخاصكي : هو احد امراء الممالك الاتراك الذين تمتعوا بنفوذ كبير في عهد السلطان حسن حفيد الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٥٩هـ / ١٣٧٣م واستمر في منصب مقدم العساكر حتى مقتله سنة ٧٦٨هـ / ١٣٨٢م . ينظر : عبد السيد ، قيام دولة ، ص ٣١ ، ٣٣ .
- (٣٨) عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي شذرات الذهب في اخيل من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الارنؤوط (دمشق : ١٤٠٦هـ) : ٦ / ٢١٢ ؛ شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعين خان ، ط ٢ (حيدر اباد: ١٩٧٢م) : ٦ / ٢٠٨ ؛ المقرئزي ، السلوك : ٤ / ٢٦٧-٢٦٨ ؛ الخطط : ١٧٩/٣ .
- (٣٩) ضومط ، دولة المملوكية ، ص ٥٢ .
- (٤٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١١ / ٨٠ ؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تاريخ عجائب الاثار (بيروت : د/ت) : ١ / ٣٦ .
- (٤١) النوبة : او رأس نوبة النوبة مسؤول عن الممالك السلطانية وعن سلوكهم ، وينفذون اوامر السلطان او اوامر الامراء المتعلقة بهم ، ويتولى صاحب هذا المنصب عرض العسكر قبل خروجه في الحملات العسكرية . ينظر : ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٤١ ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٤٤ .
- (٤٢) امير سلاح مهمته حمل اسلحة السلطان في المحافل العامة ، وهو المسؤول عن السلحدارية ويكون ضمن فئة امراء الالوف . ينظر : عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٤٣ .
- (٤٣) المقرئزي السلوك : ج ٣ / ق ١ / ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ الخطط : ١٧٩/٣ .
- (٤٤) ابن حجر احمد بن علي العسقلاني، انباء الغمر بابناء العمر، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: ١٩٦٩) : ١٤٨/١ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة: ١/٢٥٤؛ عبد السيد، قيام دولة ، ص ٥٤ .
- (٤٥) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التبر المسبوك في الذيل على السلوك (بولاق: ١٨٩٦م)، ص ٢٦٩ ، ٣٠٧ ؛ عبد السيد ، قيام دولة الممالك ، ص ٥٤ .
- (٤٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٢ / ١٩٩ .

- (٤٧) الدوادر : مهمته تبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغ عامة الامور والمشاورة على من يحضر إلى الباب ، كما يقدم كل من تأخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والتواقيع والكتب ، فكان يتولاها تارة من امراء العشروات وتارة من امراء الالوف ، وفي عهد السلطان الاشرف شعبان جعل متوليها اكبر امراء الالوف وزادت سلطاته في نهاية الدولة المملوكية الثانية منها تقرير أي جند الحلقة يخرج في الحملات العسكرية فضلا عن جمع الضرائب . ينظر : عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٤٥-٤٦ .
- (٤٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٢ / ١٨٧-١٨٨ .
- (٤٩) المقرئزي ، السلوك : ج ١ / ق ١ / ص ١٠٠ ، ١٠٥ .
- (٥٠) المصدر نفسه : ج ٤ / ق ١ / ص ٩٥ .
- (٥١) المقرئزي ، المصدر نفسه : ج ٤ / ق ١ / ص ٤٨٠ ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٨٠ .
- (٥٢) عادل محمد دوينغ ، الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الاداب (جامعة الموصل : ٢٠٠٣ م) ، ص ٣٣١ .
- (٥٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٤ / ٣٢٧ .
- (٥٤) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (بيروت : ١٩٩٧ م) : ٧ / ١٨٦ .
- (٥٥) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٣٣ .
- (٥٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٤ / ٣٣٠ .
- (٥٧) ديوان المفرد او الاستادارية : يرأس الاستادار ديوان المفرد او ما يسمى بديوان الاستادارية ومهمته توزيع الرواتب والعليق (علف الحيوانات) كما كان يقوم بتوزيع الكسوة على المماليك السلطانية في مناسبات قليلة ، وله نائب يسمى ناظر ديوان المفرد ، وهو من المناصب المهمة ولكنه محفوف بالمخاطر حيث كان الاستادار يمثل كبش الفداء لثورات المماليك وتمرداتهم . ينظر : عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٨٠ ، ٤٥ .
- (٥٨) المقرئزي ، السلوك : ٧ / ٢٧٨ .
- (٥٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٥ / ١٠٤ .
- (٦٠) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٣٧ .
- (٦١) امير مجلس : هو من يتحدث بشؤون الاطباء والكحالين ، وكان هذا المنصب في البداية ارفع من منصب امير سلاح ثم اصبح دونه في عهد الجراكسة . ينظر : عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٤٣ .
- (٦٢) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٤٩ .
- (٦٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٥ / ٤١٠ .
- (٦٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٥ / ٤١١ .
- (٦٥) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٤٩-٣٥٠ .
- (٦٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٥ / ٤١٢ .
- (٦٧) الطباق : مكان سكن المماليك السلطانية ويقصد بها طوابق القلعة وعددها اثني عشر طابقاً كل منها قدر حارة يشتمل على عدة مساكن ويتسع كل طباق لالف مملوك . ينظر : عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٢٦ .
- (٦٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٥ / ٤١٣ .
- (٦٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٦ / ٨٤ .

- (٧٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٢٣/١٦ - ١٢٤ .
- (٧١) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ١٨١ .
- (٧٢) مفيد كاصد الزيدي ، موسوعة التاريخ الاسلامي (الاردن : ٢٠٠٣ م) ، ص ١١٧ .
- (٧٣) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٥٠ .
- (٧٤) الزيدي ، موسوعة ، ص ١١٧ - ١١٨ .
- (٧٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٢٦١/١٦ .
- (٧٦) ابن تغري بردي ، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز (القاهرة ١٩٩٧م) : ١٧٤/٢ .
- (٧٧) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٩٢ .
- (٧٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٢٩١/١٦ .
- (٧٩) الزيدي ، موسوعة ، ص ١٢١ .
- (٨٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٣٦٣ / ١٦ .
- (٨١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٣٨٨ / ١٦ .
- (٨٢) مجير الدين الحنبلي العلمي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نيابة (عمان : ١٩٩٩ م) : ٢٩٩/٢ .
- (٨٣) قاسم ، في تاريخ الايوبيين ، ص ٢٩٩ .
- (٨٤) قاسم ، في تاريخ الايوبيين ، ص ٢٨٩ .
- (٨٥) العلمي ، الانس الجليل : ٢٩٩/٢ .
- (٨٦) قاسم ، في تاريخ الايوبيين ، ص ٢٩٩ .
- (٨٧) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٥٧، ٣٦١ .
- (٨٨) الزيدي ، موسوعة ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
- (٨٩) الزيدي ، موسوعة ، ص ١٣٠ .
- (٩٠) عباس ، تاريخ بلاد الشام ، ص ٣٦٥ .
- (٩١) قاسم ، في تاريخ الايوبيين ، ص ٣٠٠ .
- (٩٢) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ١٨٥ - ١٨٦ ، ١٩٢؛ قاسم ، في تاريخ الايوبيين ، ص ٣٠٠ .
- (٩٣) القبيلة الذهبية : ، قامت ايلخانية القبيلة الذهبية المغولية في جنوب روسيا وكانت مناطق نفوذها تجاور مملكة جورجيا في بلاد القوقاز والتي تفصل بينها وبين خانية المغول في بلاد فارس . ينظر : فتحي سالم حميدي ، مملكة جورجيا دراسة في العلاقات السياسية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب (جامعة الموصل: ٢٠٠٥م) ، ص ١٨٠ ، ١٩١ .

(٩٤) الغزو التيموري : يرجع التيموريون في اصولهم إلى التتار الذين تجدد خطرهم بظهور شخصية قيادية جديدة تقودهم في غزوهم لمنطقة الشرق وتمثلت هذه الشخصية بتيمورلنك الذي اقترن اسمه بجميع العمليات

- العسكرية بل وتعداه إلى انتساب قومه إليه. ينظر : المقرئزي ، السلوك : ج ٣ / ق ٢ / ٥٤٢ ، ٥٥٢ . ٥٥٤ ؛ عبد السيد ، قيام دولة المماليك ، ص ١٢١ ؛ حميدي ، مملكة جورجيا، ص ١٩٦ .
- (٩٥) ضومط ، الدولة المملوكية ، ص ٣٤ .
- (٩٦) احمد بن علي القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، علق عليه : محمد حسين شمس الدين (بيروت : ١٩٨٧م) : ١ / ٤٦٢ ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام، ص ٣٣٣ .
- (٩٧) ضومط ، الدولة المملوكية ، ص ٣٨ .
- (٩٨) موسوعة الحضارة العربية الاسلامية " بعض مظاهر الحياة اليومية " : ٣ / ٢٨٩ .
- (٩٩) ضومط ، الدولة المملوكية ، ص ٣٨ .
- (١٠٠) المقرئزي ، الخطط : ٢ / ٢٢ ؛ ضومط ، الدولة المملوكية ، ص ٣٦ .
- (١٠١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ١٥ / ٤١٨ ، ٤٢٣ .
- (١٠٢) الزبيدي ، موسوعة ، ص ١٢٧ .
- (١٠٣) عاشور ، العصر المماليكي ، ص ١٠٣ ، ١٥٩ ؛ عباس ، تاريخ بلاد الشام، ص ٢٧-٢٨ .